تطبيق «مقياس أينكل» في عملية تنصير المسلمين

ديفيد. أ. فريزر

إن المسألة الأساسية التى تواجه عملية تنصير المسلمين هى كيف يستطيع المنصرون برقة ووضوح إقناع المسلمين بوجوب الإيمان بيسوع المسيح رباً والإخلاص له. وإنى أفترض ما يلى:

١- فيما عدا ما يضمنه الإيمان الواعى بالمسيح رباً (دون التقرير المسبق للشكل المثالى لزمن الإيمان) فإن الكتاب المقدس لا يعطى أى تأكيد على الخلاص أو على حياة أبدية.

٢- بوصفنا أدوات اختارها الرب لهداية الناس وإرشادهم فإننا نستطيع أن نلعب دوراً هاماً باعتبارنا دعاة للرسالة النصرانية وللمسيح.

٣- إن إدراكنا لطبيعة العوامل التى تشتمل عليها المهمة يؤثر تأثيراً كبيراً على طرق اتصالنا بالناس ويفرض علينا واجب التخطيط لعملنا.

يعالج هذا البحث عملية اتخاذ القرارات للعمل من أجل المسيح كما يعالج كذلك العناصر المختلفة التى تشكل الأساس الذى تقوم عليه الالتزامات الثابتة.

القرارات المترابطة منطقياً

يتخذ الناس أثناء حياتهم العديد من القرارات المختلفة، ويتم اتخاذ القرارات الخاصة بالتغييرات الرئيسية فى أنماط الحياة كالزواج والوظيفة والانتماء الدينى من قبل العائلة فقط أو الجماعة أو العشيرة فى العديد من المجتمعات، وبعد إجراء مداولات عديدة، ويعتبر قرار التحول من دين سابق إلى النصرانية والإيمان بيسوع المسيح من مثل هذه القرارات الرئيسية، ويؤدى اتخاذه عادة إلى قرارات فرعية عديدة، ويلزم صاحبه بدور علنى ضمن المجموع قد يختلف عليه الناس من حوله وقد يؤدى ذلك الموقف فيما بعد إلى مكافأته أو معاقبته.

إن الخوض فى الطرق التى يتوصل بها أشخاص أو مجموعات إلى مثل هذه القناعات أو مثل هذا الالتزام شبيه بالقيام بمحاولة اكتشاف مكان مجهول، ماذا نعرف عن الشعوب والعائلات والأفراد الذين ينتقلون من حالة الجهل بيسوع المسيح

أو سوء فهمه إلى حالة الإيمان به ربّاً؟ وهل يمكننا إعداد نموذج للمراحل والخطوات التى يمر بها الناس عادة عندما يبدأون بالتنبه على قوة الرب والاستجابة لدعوته الكريمة؟ هل تختلف عملية اتخاذ القرارات لدى الجماعات الأرواحية المتمسكة بإسلام «العامة» (أو الإسلام الشعبى) عن الجماعات السلفية «المتعصبة»؟ كيف نربط بين مفهومنا «للتحول» المتأثر بآراء ونظريات علم النفس وعلم الأجناس البشرية وعلم الاجتماع وبين مفهوم التحول الوارد ذكره فى **الكتاب المقدس**؟.

لقد أعطى العلم اهتماماً كبيراً لعملية التحول واتخاذ القرار، فنظريات الاتصال والأبحاث الخاصة بالتسويق يمكن تطبيقها بنجاح لأنها تركز على احتياجات الإداريين والسياسيين ومسؤولى العلاقات العامة الذين يساعدونهم على التأثير فى آراء أو مشاعر الناس، ومن المؤسف أن جميع الدراسات فى هذا المجال تركز فقط على الموضوعات والبيئات الثقافية الغربية، كما أن معظم الدراسات فى مجال التحول الدينى تعالج الآثار النفسية وتهتم بصورة خاصة بتأثير التحول على سوية الشخصية.

أما الكنيسة فقد أغفلت مثل هذه الأبحاث تماماً نتيجة لاعتقاد خاطئ بأنها ظاهرة دنيوية لا يجب اتباعها في هذا المجال المقدس، إذ ترى أن الاهتمام بالدوافع والعوامل التى تزيد فرص التجاوب تجعل عملية إبلاغ الدعوة مثل الأعمال التى يقوم بها مروجو البضاعة فى **شارع مادسون** فى نيويورك، هذه النظرة تدل على وجود توتر حقيقى ولذلك يجب ألا نكون سذجًا أو قنوعين فيما يتعلق باستخدام الوسائل التقنية المتزايدة للحصول على نتائج جيدة فيما نسعى إليه، كما يجب ألا نكون فريسة للاتجاه الخاطئ الذى يضع مقدرة الروح القدس في مواجهة مع الوسائل التى يستطيع ويحبذ استخدامه، ولعل كلمات **جون أسكوت** الحكيمة والخاصة بوضع آخر تساعدنا على إيجاد التوازن المطلوب، يكتب جون أسكوت:

يقول بعض الناس بكل إيمان أن الروح القدس ذاته هو الحل الكامل والمناسب لمشاكل الاتصال وبخاصة عندما يكون موجوداً ونشطًا حينئذ تتلاشى كافة المشاكل، فماذا بحق الرب تعنى مثل هذه العبارة؟ هل يعنى ذلك أننا أحرار فى أن نكون غامضين ومرتبكين ولا علاقة لنا بمشاكل الاتصال كما هو الحال الآن تاركين الأمر للروح القدس بتوضيح كل شىء لنا إن استخدامنا للروح القدس لتعليل كسلنا

وخمـولنا أقرب إلى الكفـر منه إلى التقـوى. وبالطبع فإنه لا فائـدة من تقديم أية إيضاحات فى غياب الروح القـدس، ولكن ذلك لا يعنى بأن أعمالنا لا فائدة منها حتى فى وجوده، فالروح القدس يختار العمل من خلال أساليبنا»[1].

ماذا يجب أن نعرف عن عملية اتخاذ القرارات؟

إننا ما زلنا فى بداية طريـقنا لفهم وإدراك الوسائل التى بواسـطتها يؤمن الناس بالمسيح، وسيكون لإدراكنـا هذا الأثر الفعال فى كيفـية قيامنا بعمليـة التنصير، إن البساطة التى تتسم بها نظرية اتخاذ القرار من قبل مجموعة من الأفراد والالتزامات المشتركة المتبادلة التى تحدث ضمن الحركات الجـماعية تشير إلى تحولات رئيسية فى استراتيجية التنصير.

لقد أجـرينا دراسات، وأعـدت نماذج عديدة بهـدف تفسـير وتنظيـم الأبحاث الخاصة بتحويل الجماعات النصرانية[2] أو شبه النصرانية، وأخذنا بعين الاعتبار أنها قد طورت فى بيئات غير إسلامية يتضح لنا الأمور التالية تبدو ذات أهمية بالغة في فهم الإطار الذى يتـحرك خلاله الأفراد أو الجمـاعات للإيمان بالمسيح والاسـتجابة للدعوة النصرانية:

(أ) عوامل الإعداد والتهيئة.

(ب) محيط الالتزام.

(ج) سرعة التأثر.

(د) خطوات اتخاذ القرار.

(أ) عوامل الإعداد والتهيئة

تشيـر الدلائل إلى أن الناس أفرادًا وجمـاعات يترددون عادة فى اتخـاذ قرارات

---

(1) Stott 1975: 127.

(2) Toch 1965. Lofland 1977, Tippet 1977, Gerlach and Hinec 1970, Beckford 1975, Carrier 1965.

يقصد بتحويل النصـرانى جعله يتبع المذهب البروتستانتى حيث إن البروتستـانت يقومون بالدعوة لمذهبهم ضمن الجماعات النصرانية المختلفة أيضًا على أساس أنه المذهب النصرانى الصحيح وأن باعتناقة يولد المرء من جديد (المترجم).

جديدة أو تقديم التزامات جديدة، وليس سبب هذا خـمول نفسى فقط بل إنه نتيجة لطبيعة ووضع المعتقدات الدينية والمجتـمعات، إن معظم المعتقدات الدينية تقوم على «اكتـفاء ذاتى» لأنظمة من الفرضـيات، ولكن يبدو أن الناس يفـضلون تحت معظم الظروف التمسك بمعتقداتهم القديمة دون أى تقييد، ويتجاهلون الأفكار المغايرة مهما اتسمت بالحـجج القوية والمنطقيـة، ولذلك تجد الناس بصفـة عامة يحـاولون تفادى المواجهات والعـلاقات الجديدة أو الدخول فى تجارب أو الاطلاع على مـعلومات قد تقودهم إلى الإيمان بدين جديد، ولا يشذ عن هـذه القاعدة سوى القليل من الناس الجريئين أو الهامشـيين، والمسلمون مثلهم مثل معظم الناس يتسـمون بالحيطة والحذر تجاه ادعاءات دينية مخالفة لمعتقداتهم وتقـاليدهم، كما أن العقوبات الاجتماعية التى يتعرض لها الأشخاص الذين يبدلون ولاءهم تعزز هذا التحفظ.

ولكى يكون هنالك تحول فلا بدّ من وجود أزمات معينة ومشاكل وعوامل إعداد وتهيئة تدفع الناس أفـراداً وجماعات خارج حالة التـوازن التى اعتادوها، وقد تأتى هذه الأمور على شكل عـوامل طبيعيـة كالفقر والمرض والكـوارث والحروب، وقد تكون معنوية مثل التفرقة العنصرية أو الحسـاسية بسبب تسامح المجتمع تجاه النفاق، أو الوضع الاجتـماعى المتدنى، وفى غـياب مثـل هذه الأوضاع المهيـئة فلن تكون هنالك تحولات كبـيرة إلى النصرانية، وتوضح الدراسـة التى قام بها **إيفرى ويليس** عن أندونيسيا أهمية فهم عوامل الخلفية الاجتماعية الثقافية لتفسير أسباب تحول كثير من مسلمى هذا البلد إلى النصرانية بين ١٩٦٥-١٩٧١م.

(ب) محيط الالتزام

١- نقاط الخيار:

ما مدى وجـود فرص ثقافية للمـسلمين لتغيير التـزامهم الدينى؟ رغم وجود بعض الاختـلافات الهامـة، فالمجتمـعات الإسلامـية بصفـة عامة تجنح إلى كـبت الحريات، والخـيارات المسـموح بهـا على المستـوى الدينى تنحـصر فى مـجال ضـيق لا يتعـدى الاختلافـات المتعارف عليها بالنسـبة للعبادة والإيمان، أما المفـهوم الأوربى الغربى الذى يعتبر الإيمان والعبادة مسائل شخصية فلا مكان له بين الأطر الثقافية الإسلامية.

٢- المواقف الثقافية الاجتماعية:

من شأن المواقف الثقافية الاجتماعية أن تشجع على أو تعيق قرار الدخول فى النصرانية، ولكن هل يحق لنا أن نتوقع من الناس أن ينجذبوا نحو كنيسة ما أو يلتزموا بدين جديد على الرغم من وجود عقوبات صارمة لمن يدخلون فى مثل هذا الالتزام؟ ويمكن تصور سلسلة متصلة من العقوبات الثقافية:

مطلوب منه	مبشر بقوة	غير مهتم	غير مبشر إطلاقا	غير مفترض
أن يكون نصرانيًا	بالانضمام للنصرانية	بالانضمام للنصرانية	فيه أن يكون نصرانيًا	

فمن الناحية الإيجابية يطلب من كل فرد أن يكون نصرانيًا، وهذا ما أفرزته الكاثوليكية فى أوجها فى فترة العصور الوسطى، ومن المعلوم أن هذه النظرة تبرز مشكلة النصارى «الإسميين»[1] أو «العدديين»، أما فى الناحية السلبية حيث لا تشجع العقوبات الثقافية الاجتماعية الدخول في النصرانية فيمكننا أن نضع معظم البيئات الإسلامية، ومن مؤشرات مثل هذه البيئة السلبية أن الدعوة إلى المسيح لا تجد استجابة إلا من الأشخاص الهامشيين أو المنحرفين الذين ينتمون إلى القطاعات الفقيرة نسبيًا فى المجتمع الإسلامى، وفى الأماكن التى يحدث فيها هذا تصبح النصرانية دينًا هدامًا ومنبوذًا اجتماعيًا كما تفشل فى التغلغل بين أفراد غالبية المجتمع، والمسلم «العادى» يجد تأكيدًا لا عتقاده أن النصرانية جسم غريب ينبغى مقاومته أما المسلم الذى يتحول إلى النصرانية فيشعر بالحرج وبالإهانة وبفقدان الدعم والانتماء العائلى وبالنبذ الاجتماعى إذ يفقد التفاعل الحيوى مع مجتمعه ويصبح عالة على المجتمع النصرانى المدعوم من الخارج سواء أكان ذلك فى مجال العمل أم الزواج ومن ثم يفصل تدريجيًا عن المجتمع المسلم.

أما المؤشر الثانى فهو أن واضعى استراتيجيات التنصير سوف يقومون بالبحث عن والتركيز على المناطق التى تكون أوضاع المسلمين فيها مشجعة على التحول إلى النصرانية، والتى يقلل فيها الترابط الجماعى وحدة العقوبة الاجتماعية، فالمهاجرون

(١) يقصد بهذا المتنمين إسميًا إلى النصرانية والذين لا يلتزمون بما يفرضه عليهم انتمائهم الدينى (المترجم).

الأتراك فى ألمانيا الغربية أو المجتمعات التى تمر بمراحل تحول حضارى وثقافى واسع النطاق يمكن أن تعتبر مواقع استراتيجية للتنصير.

٣- معالم التقوى والولاء:

تتضح معالم ومظاهر التقوى بين المسلمين فى أساليب وأمزجة مختلفة يمكن توضيحها بالرجوع إلى ما كتبه **جيرتز** عام ١٩٦٨م، يرى **جيرتز** أن التقوى بين المسلمين المغاربة تتسم بالفعالية والشعبية والحماسة وتتمركز فى رجال الدين (الذين يطلق عليهم مرابطون) والذين يوزعون قوتهم المعنوية وبركاتهم على أتباعهم، أما التقوى لدى المسلم الأندونيسى فتجنح إلى الانغماس فى الأمور الروحية والغيبية والجمالية، فهى صورة للإسلام الذى ينزع إلى التصوف وتشبه إلى حد بعيد الأرواحية الهندوسية، فالتنصير فى بلاد المغرب ربما يستوجب وجود قيادة أكثر فعالية ونشاطًا على نمط القيادة المؤثرة الساحرة، أما الأنماط النصرانية فى أندونيسيا فتستطيع أن تركز على التقوى الفلسفية التصوفية التى تسعى إلى الاتصال مباشرة بالرب، ولكن كل هذا لا يعدو أن يكون مجرد تكنهات إذ أن الأمر الذى ينبغى علينا معرفته هو نظرة الناس إلى الدين وما يحققه لهم وكذلك أشكال التقوى التى يمارسونها بغية المشاركة فى الحياة الروحية «المثالية» التى يفرضها نظامهم الدينى، إن إيمان الفرد أو المجموعة بالمسيح سيصاغ بصورة جزئية بنوع وأسلوب التقوى الدينية التى اعتادوا عليها.

(ج) سرعة أو سهولة التأثر

١- أثر عوامل الإعداد والتهيئة:

من أجل استغلال حالة موضوعية فى سبيل الالتزام والإيمان بالمسيح يجب أن تحدث هذه الحالة تأثيرًا محددًا فى مجموعه ما. ويجب أن تشعر المجموعة بتأثيرها بصورة عاطفية قوية، كما يجب أن يؤمن الناس بأنه يمكن اتخاذ إجراءات لمواجهتها والتغلب عليها، وهذا المفهوم يناقش عادة تحت عنوان «قابلية الاستجابة» ويعنى كذلك أنه يوجد أفراد ومجموعات من الأفراد مثل **كورنيليوس (أعمال الرسل: «١٠-١١)** يبحثون عن حل لمشكلة ما توفره العقيدة النصرانية. وعندما يواجه هؤلاء الناس لديهم ما يطلق عليه **وليم جميس** «إرادة للإيمان» وما لم يصبح الناس

غيـر راضين عن المساعدة والمعانى التى يوفـرها لهم التزامهم الحـالى فإنه لا يكون لديهم عادة أى حافـز للتفكير فى خيـار آخر. ولا غرابة في أن تحول مجـموعات كبيرة إلى النصرانيـة تم تحت تأثير ظروف تحولات اجتماعية وثقافيـة رئيسية حيث كان المتحولون فى أكثر الأحوال من تلك الطبقات التى شعرت أنها محرومة بشكل كبير. والاستراتيجيات الفعالة التى تسعى لإحداث قرارات هامة يلزمها البحث عن تلك الأجزاء ضمن المجتمـعات الإسلامية التى يكون مستوى السـخط فيها قد بلغ ذروته، أى بين الطبقات الاجتماعية، والمجموعات العرقية.. إلخ.

٢- المنصرين وطبيعة التنصير:

إن قابلية البشر للتأثر بشىء ما هى حالة مستترة أو غير مدركة ولهذا قد لا يشعر الناس بأحاسيسهم العميقة أو احتيـاجاتهم الشديدة حتى يواجهوا دعوة ما تشعرهم بهـذه الأمور بشـكل واضح ومن ثم يقـتنعون برغـبة شـديدة في البـديل المطروح عليهم، والدعـوات لا تولد عادة الحاجة التى تناسب الحل المطروح ولكنـها تبرزها إلى الوجود وتقنع صـاحب الحاجة بأن الطريق الجـديد يلائم الحاجة ملائمـة دائمة تامة، ولهذا فإن مـحاولة إيصال الرسالة النصرانيـة التى لا تتكيف للتعامل مع هذه الأحاسيس سـتكون غير ملائمة وشاذة، بنفس الـطريقة يجب أن «تكسب» الدعوة حق إنصات الناس إليها، والدراسات التى تحاول اكتشاف الشخص الذى كان يوصى باعتناق النصـرانية تشير إلى أنماط واضـحة للتأثير الاجـتماعى، ففى عهـد الكنيسة **الأولى** كان رب الأسرة يسـتطيع أن يحمل أفراد أسرته على التنصيـر بينما قد يظل قرار الزوجة قراراً فردياً لا يؤثر على بقيـة أفراد الأسرة، والناس جميعًا لهم أحكام مسبقـة فيما يتعلق بمن يحبـون ولمن يصغون، ولنا أن نتساءل ما إذا كـان المنصر قد اتخذ دوراً داخل المجموعـة البشرية يتيح له فرصة الاحـتكاك والمواجهة التى تنشط وتحرك كالأحاسـيس الكامنة للإيمان، وتجدر الإشارة هنا إلى المنصرين الباكـستانيين الذين يتبعون الأساليب الفعالة ويتمـتعون بالقدرة المؤثرة، فخلال عملهم فى القرى الريفيـة على علاج الناس وطرد الأرواح الـشريرة أحاط بهم «المسـلمون» من ذوى الحاجة من كل حـدب وصوب، والسبب هو أن دور هؤلاء المنصرين وتـأثيرهم قد حرك أحاسيس الناس الكامنة إضافة إلى تبليغ حيوى **للكتاب المقدس**.

لقد تم التعبير عن العقيدة النصرانية بطرق كثيرة ومختلفة. ومن واجب الكنيسة أن تعتمد على هذه الطرق المتنوعة وأن تستخدمها فى دعوة الأجناس المختلفة وفى العالم الإسلامى لتقديم يسوع المسيح رباً، ويتحرج بعض المنصرين وكذلك إرساليات التنصير الغربية من تبنى طريقة الشخص ذى القدرة المؤثرة الذى يعالج الناس كما يفعل المنصرين الباكستانيون. ولكن بدون هذا الأسلوب للتعبير عن الالتزام النصرانى فإن الأحاسيس الكامنة ستظل مستترة، وهذا يعنى أكثر من مجرد أسلوب المناشدة والمواجهة بين المسلمين وبين العقيدة النصرانية ذاتها، إن الأمر يتعلق بالأساليب والأشكال التى ينبغى على المنصرين وهيئات التنصير اعتمادها ليصبحوا جزءًا من المجتمع «النصرانى» ويعزى نجاح الرسول بولس فى العالم الرومانى إلى استعداده لتبنى الأساليب المعتادة والمقبولة لدى المتنصرين لتوجيه إيمانهم الجديد بالمسيح الوجهة اللازمة، إن اقتباس هندسة «الكنيس» اليهودى لبناء «كنيس نصرانى» يمكن أن يكون مثالاً يحتذى به فى عملية تنصير المسلمين، وإذا كان الإيمان بالمسيح يعنى الانضمام إلى «مسجد نصرانى» أو «جماعة صوفية» نصرانية بدلاً من الانضمام إلى «كنيسة» نصرانية أجنبية، فلربما تكون قرارات التحول إلى النصرانية أكثر عدداً أو أجدى نفعًا مما كانت عليه فى الماضى.

(د) خطوات اتخاذ القرارات

يجب أن نعرف من يتخذ القرارات ومن يشارك فيها؟ هل تشارك العائلة كلها فى اتخاذها أم كبار السن فقط؟ وإذا التزم رئيس أو كبير العائلة بشىء ما فهل من المحتمل أن يلتزم بقية أفراد العائلة به؟ ماذا سيحدث إذا اتخذت امرأة قراراً وكيف يؤثر هذا القرار على أفراد العائلة ويفتح الباب أمامهم؟ وعندما ندرس المناطق التى حدث فيها تحول نسبى كبير بين المسلمين إلى النصرانية علينا أن نتساءل: هل من الممكن تعميم الطريقة المتبعة وخطوات اتخاذ القرارات على المناطق الأخرى؟ وتجدر الإشارة هنا إلى نسبة التحول الكبير الذى حدث فى أندونيسيا فى الأعوام ١٩٦٥-١٩٧١م. وفى الباكستان عندما تحول (١٨٠) شخصًا إلى النصرانية فى منطقة ريفية، فإذا أردنا تنصير المسلمين تبقى طريقة التنصير القائمة حاليًا غير ذات جدوى

إذا لم يتم هذا باقتلاعهم كأفراد كما يحدث الآن، بل يجب التأثير على عوائل ومجتمعات بغالبيتها أو بأكملها.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن طريقة تسجيل وإعلان التحول مهمة لأنها تتعلق بمشكلة التكتم على المتحولين ومشكلة المعمودية، فما الدلالات الاجتماعية والدلالات غير الرسمية التى تصاحب ذلك الالتزام وماذا يعنيه هذا بالنسبة للطريقة التى نرغب أن يتم التعبير بها عن الالتزام بالمسيح.

١ - خطوات دعم القرار:

تبين جميع الدراسات أن الفترة التى تعقب اتخاذ القرار هى فترة حاسمة لترسيخ الالتزام ونوعية التغييرات التى تطرأ على شخصية المتنصر وأسلوب حياته، سواء أطلق على ذلك «الدعم الجماعى للأنماط المتغيرة عقلياً أو سلوكياً»[١] أو «تدعيم الإيمان[٢] أو «إقامة روابط مؤثرة بين المتلزمين» أو «تحقيق تفاعل مكثف»[٣]، إن فترة التقييم والتوجيه والتحليل والإعداد هى فترة حاسمة لإعطاء قوة داخلية وخارجية لمواجهة التجارب الناتجة عن الالتزام الجديد حيث تكون هنالك محاولات معتادة لإثناء الشخص المتنصر عن القرار الذى اتخذه.

ولهذا فإن عملية «المتابعة» التى تستخدم فى لغة التنصير مهمة جداً بوصفها نقطة التحول التى يبدأ المرء فيها مرحلة «تثبيت» التزامه.

٢ - استنباط مقاييس لاتخاذ القرارات الخاصة بتنصير المسلمين:

عندما تتكون لدينا فكرة بسيطة عما نحتاج إلى معرفته من أجل تنفيذ الخطوات التى تؤدى إلى أن يلتزم الناس بالإيمان بالمسيح يتعين علينا الاستعانة بالتجارب من أجل أساليب خاصة مناسبة لكل حالة حسب الظروف الاجتماعية والدينية[٤] والثقافية المميزة لها، ويمكن الوصول إلى بعض ذلك عن طريق إعداد دراسات لكل حالة.

---

(1) Gerlach and Hine 1970: 110.

(2) Griffin 1976: 169-212.

(3) Lofland 1977: 51-60.

(4) Hanna 1975,Miller 1969.

ويعرض هذان المؤلفان طريقة تمت بواسطتها تحويل المسلمين إلى النصرانية، بيد أنه سيستحيل تنصير العالم الإسلامى فيما لو كانت تلك الطريقة هى الطريقة الرئيسية أو الوحيدة التى يجب على الناس سلوكها ليؤمنوا، وهنا يجب علينا أن نقول إنه لم يجر حسب علمى تحليل المعلومات المتوفرة لدينا بدرجة كافية من أجل إيجاد أنماط لعملية اتخاذ القرار على أساس العوامل الخمسة التى تمت مناقشتها أعلاه.

لقد استنبط **أينكل**، مدير برامج الاتصال بكلية **ويتون للدراسات العليا** نموذجًا لعملية اتخاذ القرار الروحى يقال إنها تصلح للتطبيق في كل مكان، وهذا النموذج الذى طوره **أينكل** من خلال أبحاثه فى التسويق وسلوك المستهلك هو أكثر محاولة جادة للوصول إلى نموذج ربما يفيد فى استراتيجية تنصيرية (الشكل أ). ورغم أن هذا النموذج يبدو معقدًا للوهلة الأولى إلا أن مضامينه لا تصعب على الفهم، ويشير النموذج إلى أن كل إنسان يقف فى مكان ما عبر سلسلة من الخطوات بالنسبة لعلاقته بالمسيح، وعلى أحد أطراف السلسلة يقف الناس الذين ليست لهم معرفة مباشرة **بالكتاب المقدس** ولكنهم يعلمون فقط ما اكتشفوه بفطرتهم وضمائرهم والحقائق الموجودة فى ثقافتهم التقليدية.

يقول **أينكل**:

وآخرون يدركون بصورة أكثر أسس الكتاب المقدس (خاصة ما يتعلق بالتوحيد وخطيئة الإنسان وتميز المسيح) ويأتى ترتيب هذه الفئة بين المرحلتين ٣-٧ وهذه الفئة لم تصل إلى المرحلة التى يكون فيها إحساس عميق بل حاجة للتغيير والدافع لفتح عقولهم للتفكير الجدى فى التحول إلى يسوع المسيح والالتزام به مدى الحياة، ويحدث ذلك فقط عندما يكون هنالك إدراك لمعطيات الكتاب المقدس، ويكون هذا الأمر مصحوبًا بإحساس المرء بمشاكله الخاصة (المرحلة٢)، وبوصول الفرد إلى (المرحلة٢-) يكون أمامه خياران فقط: إما رفض الاستجابة للرسالة، أو التحول إلى النصرانية ليصبح إنسانًا جديدًا ويلتزم بالإيمان بالمسيح مدى الحياة، وإذا افترضنا حدوث هذا الالتزام حينئذ تبدأ مرحلة النصر النصرانى، وتمثل المرحلة الأولى (+١) مرحلة تقييم وتحليل فترة ما بعد اتخاذ القرار، حيث يصاحبها الشك والقلق

إزاء صدق القـرار وثباته، ويمكن تقليل درجـة الشك بالمتابعـة المناسبـة التى تؤكد وتشدد على حقائق **الكتاب المقدس** الأساسية مرة أخـرى وعلى معنى الإيمان، كما يتم فى الوقت نفسـه استيعـاب المؤمن الجديد ضمن أتباع يسـوع المسيح عن طريق تعميده علانية (+٢)، والسبب فى التـركيز على هذه المرحلة أنه بدونها قد تضعف بصورة خطيرة عملية النمـو الروحى، وعندما يتم التركيز الكافى على هذه المرحلة فإن النمو والنضج سوف يبدآن ويستمران طوال حياة الشخص المتنصر[١].

إن فؤائد النظر إلـى عملية القـرار بهذا الشكل عـديدة، فهذا التـصور يرى أن هدف إيصال **الكتاب المقدس** هو التأثيـر على الناس ودفعهم إلى الأمام فى عـملية اتخاذهم لقـرار الإيمان بالمسيح، كما يتـضمن هذا المقياس على العـديد من النقاط التى تتجاوز مرحلة «القرار» أو «المعمودية» وتساعد على تحليل التأثير والذى يحدثة أسلوب الاتصال، فـإذا أمكن تحديد المرحلة التى بهـا فئة مـعينة فى العـملية يمكن تفادى البدء فى عمليـة الإقناع قبل شرح الرسالة بشكل يكفل إدراك الناس **للكتاب المقدس** بصورة مناسبة، ويبين هذا النموذج إن مرحلة ما بعد اتخاذ القرار وأحداثها مهمة من أجل ضمان التزام راسخ ودائم.

وبينما يركز القـياس على السؤال التقليدى المتعلق بما يعـرفه ويدركه الناس عن **الكتاب المقدس**، فإن **أينكل** يصر أيضًا على أنه[٢] يتوجب فهم واستـيعاب ثلاثية أبعاد أخرى لتطوير استراتيجية للاتصالات:

١- المواقف: «كيف يشعر الناس المراد تنصيرهم تجاه الموضوعات المطروحة».

٢- أنماط الحياة: «ما المحـركات والحاجات المهمة التى تؤثر على اعـتبار طريقة إيصال **الكتاب المقدس** منسجمة مع متطلبات الأفراد والجماعات؟».

٣- أسلوب اتخاذ القرار: مـا الأسلوب الذى يصل الناس عن طريقه إلى اتخاذ قرار بالنسبة للموضوعات المطروحة؟

هل تفيـد مثل هذه المعلومـات واضع الاستراتيـجية فى تطـوير أساليبـة وطرقه لتصبح أكثر فعالية؟ وإذا عرفت النسبة المئوية لمجموعة تقع فى المرحلة ٦، ٣، ٢،

---

(1) Engel 1975:5.

(2) Engel 1977:31.

فهل يساعد ذلك المنصر على أن يجعل عمله أكثر تحديدًا وانسجامًا فى اتصاله بهذه المجموعة بحيث يستطيع الوصـول بها إلى مرحلة الإيمان الحتمى بالمسيح؟ إنى أرى أنه يمكن بصورة عامة أن يكون الرد بالإيجاب، إلا أنها ربما تحتاج إلى تعديل كبير لتتناسب مع عملية تنصير المسلمين.

(أ) هل أن المقيـاس وصفى يعرض الواقع أم توجـيهى يقتـرح الحلول؟ يبدو أن المقياس يظهر أن العـملية يمكن إدراكها، وهنالك «حقائق» يجب معـرفتها والإيمان بها كى تتم عملية التخليص من الخطيئة، والتحول ينظر إليه على أساس المعلومات التى يجب إيصالهـا لتطوير «الوعى» **بالكتـاب المقدس**، أما المتـابعة فـهى لتأكـيد الحقائق وتطويـر درجة الفهم والإدراك، والسؤال هنا: «هل يفـترض هذا النموذج وجود حد أدنى من المعرفة الضرورية كى يكون التنصير صـحيحًا؟ وما طبيعة تلك المعرفة وكيف يمكن التعبير عنها لتتناسب مع مختلف البيئات والأوساط الإسلامية؟ إن التحول إلى النصرانية فى اعتقادى هو عـملية ذات أبعاد وجوانب متعددة، كما أن هنالك على الأقل بعض الطرق الرئيـسية الأخرى التى يؤمن الناس من خـلالها بالمسيح والتى لم يشـملها النموذج، وسوف أركـز على طريقة مسـتمدة ومعـتمدة أساسًا على التجربة خلافًا لطريقة الإدراك المعتمدة على الحقيقة، إن غالبية المسلمين الذين يحتمل أن يتنصروا هم من يعتنقون ما يطلق عليه الإسلام الشعبى (أو إسلام العامة)، وهم أرواحيون يؤمنون بالأرواح الشـريرة والجن ويعرفون القليل جداً عن الإسلام الأصيل، كما يؤمن هؤلاء بدرجة كبيرة بالتعاويذ التى يعتقدون أنها تمدهم بالقوة لمواجـهة شرور الحياة وتحـدياتها، والباب الذى يمكن من خلاله التـأثير على هؤلاء وتنصيرهم هو أن يقوم شخص بتقـديم منافع دنيوية لهم مثل ممارسة العلاج الروحى وطرد الأرواح الشريرة، لـقد سمـعت أكثر من قـصة مؤثرة عن تنصـير أعداد كبـيرة من المسلمين أكثر مما تم بواسطة طريقـة الوعظ وعلى يدى قس قبطى لديه القدرة على العلاج الروحى وطرد الأرواح الشـريرة، إن النقطة المهمة فى هذا التحول بالنسبة للمسلمين هى «البركة» والقوى التى يظهرها المنصر، أما فهم حقائق **الكتاب المقدس** الأساسية فـهى مرحلة تأتى بعد أن يواجهه المسـيح بالأدلة القاطعة

على أنه رب عظيم، فكل الذى يعلمه الناس ساعة التحول هو أن المسيح قوى بما فيه الكفاية لحل المشكلة.

(ب) هل يحدد الخطوات الحاسمة التى يتخذها المسلم نحو القرار الروحى؟ فى تصورى أن المشكلة الرئيسية التى «تعيق» تجاوب المسلمين واستماعهم للدعوة هى سوء فهم النصرانية وليست الجهل بها، وأفضل ما يمكن أن نفعله هو أخذ المؤشرات المضمنة فى النموذج واستنباط مقياس آخر يناسب التجربة الإسلامية ويقترح تصوراً للمراحل المختلفة التى يمرون بها عادة وأن يكون من ضمنها مرحلة إزالة سوء الفهم.

الخطوة التالية

يجب أن نعرف الطريقة الفعلية التى يتخذ بها المسلم قراراً فيما يخص علاقته بيسوع المسيح، وإذا عرفنا تلك الطريقة وتم تنظيمها وتعميمها لاستنباط مقياس عام يشابه عملية القرار الروحى التى أشار إليها **أينكل** فإن هذا يوفر لنا مفاتيح عديدة لعمل أكثر فعالية فى إيصال رسالة **الكتاب المقدس**، وإذا اكتشفنا المدخل الذى يستخدمة الروح القدس لجعل المسلمين يؤمنون بالمسيح ستتمكن بوعى أكثر من جعل استراتيجيتنا وجهودنا تطابق نشاطات الروح القدس، ومن ثَمَّ نستطيع أن نخاطب المسلمين بالمعرفة والتجارب التى هم فى حاجة إليها، وفقًا للمرحلة التى هم عليها فى عملية اتخاذ القرار، وإنى لعلى ثقة من إمكانية تطوير «مقياس» من ذلك النوع، ولكننى أورد ذلك بشكل غير نهائى وغير حاسم، وقد قصدت بعلامة الاستفهام فى نهاية عنوان هذا البحث الدعوة لإرسال التعليقات والاقتراحات حول هذا التأكيد.

نموذج (أ)

عملية اتخاذ القرار الروحى

دور الرب / دور المنصر	الاستجابة
إلهام عام	-٨ إدراك وجود كائن أعظم ولكن لا توجد معرفة كافية بالكتاب المقدس
اعتقاد / إبلاغ الدعوة / اقناع	- ٧ إدراك أولى بالكتاب المقدس - ٦ إدرك مبادئ الكتاب المقدس الأساسية. - ٥ فهم واستيعاب معانى الكتاب المقدس. - ٤ شعور إيجابى تجاه الكتاب المقدس. - ٣ تشخيص المشاكل الشخصية. - ٢ قرار بالتحرك. - ١ توبة وايمان بالمسيح.
تجدد	مخلوق جديد
تطهير من الخطيئة / متابعة / رعاية	+ ١ تحليل مرحلة ما بعد اتخاذ القرار. + ٢ اندماج مع كتلة المؤمنين. + ٣ تطور المفاهيم والسلوك. اتصال بالرب تكاثر داخلياً (هدايا...إلخ) خارجياً (دعوة، عمل) (اجتماعى...إلخ) الأبدية.

James F.Engel, Copyright, 1975 by Zondervan Publishing House. reprinted by permission.

خلاصة تعقيبات المشاركين

أشار الكثيرون إلى عـدم وجود علامة استفهـام فى عنوان البحث، ويقر المحرر أن الكاتب قد وضع العلامة ويأسف لسقوطها سهوا أثناء الطباعة.

يمكن معـرفة آراء المشاركين المؤيدة أو المعـارضة لإمكانية الاستـفادة من **مقـياس أينكل** للعمل بين المسلمين عن طريق تحديد آرائهم حول طرق التسويق فى الغرب، وفيـما إذا كـان الروح القدس يسـتطيع العمل بنفس الأسلوب، ويرى الـبعض أن هناك «اعتراض ثابت على تطبـيق طرق التسويق فى مجال التنصـير»، وسبب هذا الاعتراض أن **مقياس أينكل** نتاج لثقافة لها صلة وثيـقة بنظام التسويق فى الغرب، بينما توجد مناطق كـثيرة فى العالم تمارس نظام المقايضة وليس لديهـا أى استعداد لقبـول المنهج الغربى، وإلى جـانب ذلك فإن **مقـياس أينكل** يفتـرض وجود تدرج منطقى في عـمليـة اتخاذ القـرار، وقـد تمت الإشارة إلى أن دور الرؤى وتصـارع القوى والعلاج إضافة إلى الـرغبة فى اكتشاف عالم جديد تختلـط بصفة عامة مع عملية اتخـاذ القرار بأسرها، هذا بالإضافة إلى وجـود سلسلة طويلة من القرارات لم يشملها **مقياس أينكل**.

ورغم هذا التحفظ فقد تحمس الكثـير من القراء لإجراء المزيد من الدراسة حول الموضوع وطالب الكثير منهم الكتاب بتطوير مـقياس محدد خاص بالمسلمين الذين يحتـمل تنصرهم تمثل الجانب الحاسـم فى اتخاذ قرار التحـول، واستناداً إلى ذلك اقترحوا إدخال التعديلات التالية على الجزء الأعلى من المقياس والتى تناسب العمل بين المسلمين.

١٠- إدراك وجود كائن أعظم ولكن لا توجد معرفة كافية **بالكتاب المقدس**.

٩- إقامة صلة إيجابية مع المنصر.

٨- إعادة دراسة ما جاء فى القرآن عن يسوع وتوضيح سوء الفهم فيه.

٧- إدراك أولى بالكتاب المقدس.

٦- إدراك أولى بمبادئ الكتاب المقدس.

٥- فهم واستيعاب معانى **الكتاب المقدس** وازداد التأكيد على أهمية دور المنصر عندما طرح أحد المتحولين المسلمين تجربته استناداً إلى **مقياس أينكل** موضحًا الدور الذى لعبه المنصر فى كل خطوة منها.

وانتقد بعضهم رأى الكاتب، والذى يشير إلى أن الاختلافات اللاهوتية هى انعكاس للاختلافات الثقافية، وشعروا بأن فى هذا تقليل واستخفاف باهتماماتنا بالحقيقة، وكان هنالك نقد مشابه لاقتراح **فريزر** «القائم على التفريق» بين النموذج المعتمد على التجربة وبين طريقة المعرفة والإدراك، ولقد أكد القراء على أنه لا يمكن التقليل من دور الحقيقة أو من دور التجربة.

وفيما يتعلق بآراء الكاتب عن التحركات فى صفوف الناس والمجموعات، عبر بعض القراء عن قلقهم حيال الأدلة التى تشير إلى أن الأفراد الهامشيين فى المجتمع هم الذين يكون لديهم استعداداً للإيمان بالنصرانية، إن الناس الهامشيين وهم فى الغالب المنحرفون سلوكياً لا يمكن أن يكونوا قادة قادرين على التأثير على مجموعة لتبدأ التفكير بالمسيح، وفى نفس الوقت اتفق الجميع على أن سياسة التنصير القائمة على «أسلوب اقتلاع» قلة من الأفراد من هنا وهناك قد برهنت على عدم جدواها ويجب العمل على اقتلاع «مجموعة كاملة فى وقت واحد».

والنقطة الأخيرة التى أقلقت المعقبين هى أن تطبيق هذا المقياس فى مواقع التنصير ربما يتطلب نظامًا ضخمًا لجمع المعلومات يجب أن يقوم بالإشراف عليه كادر مدرب من الموظفين، وهذه النظرة صحيحة لأن المقياس يجب أن يطور بالصورة التى تجعله مناسبًا لكل مجموعة منفردة من المسلمين وليس فقط المسلمين بصفة عامة.

١- لم أعط تصورًا شخصيًا لمقياس معين إيمانًا منى بأن مثل هذا المقياس يجب أن يستمد من التجربة الحقيقية فى محيط ثقافى محدد، كما أن تحليل عمليات تحول حقيقية يجب أن تقود إلى اكتشاف أمثلة ونماذج لمثل هذا المقياس، وإنى أتفق مع الكثيرين ممن أرسلوا تعقيباتهم على أن النقطة الرئيسية فى المواجهة كانت سوء فهم المسلمين للنصارى وللعقيدة النصرانية.

٢- أما بالنسبة لأولئك الذى شعروا بعدم وجود «أمثلة نموذجية» وبذلك أزالوا إمكانية وجود مثل هذا المقياس، فإننى أستطيع فقط أن أقول إن الباحثين يطورون الآن مثل هذه المقاييس للتحول فى بيئات أخرى، فهذا ممكن وإن كان صعبًا، وأعتقد أن معظمنا لديه نماذج غير رسمية عن اتخاذ القرارات وهم يستعملونها فى مجال التنصير، ولكن وجود نموذج واضح يمكننا على الأقل من فهم العمل الذى نقوم به ويمكننا من تكييف أنماط الاتصال وفقًا للكيفية التى نعتقد أن الناس يصلون بها إلى اتخاذ القرارات.

٣- يجب ألا نخطئ فى فهم وظيفة ودور أى واحد من مثل هذه المقاييس، إن الأمر ليس متعلقًا «بكيمياء روحية جديدة» أو «عصا سحرية» يتمكن بها المنصر من تحويل الفشل إلى نجاح باهر، إن المقياس هو مجرد وسيلة تساعدنا على التفكير السليم والدقيق، وحتى لو توفرت لدينا المعلومات الكافية التى يمكن أن نبنى عليها المقياس (وهذا مستحيل) واستطعنا وضع الناس على المقياس بكل دقة (ولن نستطيع أن نفعل ذلك) فإننا لن نستغنى عن الروح القدس بل تظل حاجتنا إليه دائمة لكى يوقد فينا الرغبة الأكيدة فى العمل على تنصير المسلمين ويملأ نفوسنا بالمحبة لهم والاحترام لثقافتهم، وسواء وجد مقياس أم يوجد فإن حاجتنا للصلاة والصوم ستظل قائمة، ولكن حماستنا هذه واهتمامنا هذا يجب أن يكونا هادفين ولا بدّ أن ينضجا بواسطة الفهم الصحيح، فنحن نحتاج إلى أن نفهم أنفسنا ونفهم الناس الذين نحاول تنصيرهم والأنماط المتعددة التى يتبعونها فى مرحلة اتخاذ القرار.

لقد حان الوقت لتجاوز مرحلة الاحتماء بعبارات التقوى والورع التى تحمينا من مواجهة فشلنا فى الاستفادة من التجارب ومن نفاذ البصيرة التى يمنحنا إياها الرب، إن الحماسة التى تفتقر إلى المعرفة الصحيحة والفهم الصحيح تشبه إلى حد بعيد محاولة تدفئة بيت بارد بإشعال النار فى سقفه.

٤- وبطريقة مشابهة، فإن استخدام نظرية الاتصال أو مبادئ الإدارة الناجحة يعتبر أمرًا مشروعًا ومعقولاً وروحيّاً، وليس سبب قوى فى الوقت الحاضر من التخوف من أننا شرعنا فى جعل العملية «تنصيرًا تكنولوجيّاً»، ولو كنا مزارعين نصارى، فإننا لن نتظاهر بحاجتنا للجهل والتخلف لكى يقوم الرب بواجبة نحونا ويعطينا الزيادة فى المحصول، وبوصفنا مسؤولين عن التعبير عن كلمة الرب وتبليغها فإننا لا نقول إن علم اللغة يمثل عقبة كأداء فى طريق الروح القدس، وكباذرين للحبوب والتى هى كلمة الرب، فإننا نخدع أنفسنا كثيرًا لو اعتقدنا أن المحصول سيكون أكثر على الرغم من أننا نرفض تعلم طرق جديدة فى كيفية بذره وتحليل التربة واستخدام الماء والسماد أو حصاده، إن القضية ليست «مناورة» لإدخال الناس فى مملكة الرب وإنما هى تعامل مع طبيعة الأشياء ومع الناس ومع الثقافة، ونحن نحاول أن نكون خدمًا **للكتاب المقدس** الذى نود أن نزرعه.

٥- لم يكن البعض مرتاحًا لأنهم شعروا بأنى أؤيد جعل العقيدة النصرانية أكثر «جاذبية»، إنى أقر بهذا، فأنا لا أعتقد أن الناس يمكن أن يتجاوبوا مع الدعوة إذا بدا المسيح لهم «أجنبيّاً عنهم» أو لا علاقة له باحتياجاتهم الحقيقية أو أنه يناشد الناس بأن يخونوا أقاربهم أو ينبذوا ثقافتهم، إن المسيح ليس كذلك، إننا نحن الذين جعلناه يبدو هكذا بواسطة العديد من أساليبنا.

٦- أبدى البعض شعورهم إلى الحاجة للتأكيد بأن كلمة الرب قوية وقادرة على التعبير عن سخطها وليس فقط على ملائمة الحاجة القائمة أصلاً. وإننى أتفق مع هذه النظرة عندما تعرض كلمة الرب بطريقة حساسة وبأساليب ثقافية مناسبة، ولكننا لا نستطيع أن نتخذ من كلمة الرب «صنمًا» ونفترض أن الصيغة التى تجد هوى فى نفوسنا لا تحتاج إلى إعادة نظر جذرية وتركيز

على الاحتياجات المحسوسة التى تختلف عن احتياجاتنا، إن الرب لقادر حتى على أن يجعل الحمار يقول كلمته بطريقة فعالة (كما اكتشف بالام)، ولكن حتى الكلمة والتى قالها ذلك الحمار الأخرس كانت قد كيفت وفقًا لبيئة محددة مع وجود حاجة محددة، وأعتقد أن النمط الذى نراه فى **الكتاب المقدس** ومن خلال توسع الكنيسة يشير إلى السعى الدائم للكشف مجددًا عن كيفية ارتباط الأخبار السارة **للكتاب المقدس** بالاستعدادات التى تختلف اختلافًا جذرياً من مكان لآخر. وكيف يمكن التعبير عنها فى أطر ثقافية مختلفة بصورة جذرية وكيف يمكن أن تنطلق من القيود التى نحاول تكبيلها بها آملا فى أن يصبح كتابنا المقدس بدلاً من كونها ذلك الشىء المخيف القادر على تحرير الناس.

●●●

المراجع

Beckford,Jamed

1975 **The Trumpet of Prophecy: A Study of Jehovah,s witnesses.** Oxford: Basil Blackwell.

Carrier, Herve

1965 **The Sociology of Religious Belonging.** New- York: Herder and Herger.

Engel, James, D.Kollat and R. Blackwell

1973 **Consumer Behavior.** Revised edition. New-York: Holt, Rhine-hart and Winston.

Engel, James and Wilpert Norton

1975 **What's Gone Wrong with the Harvest?** Grand Rapids: Zon-dervan. Engel, James

1975 "World evangelization", **Spectrum,** Winter.

1977 **How Can I Get Them to Listen?** Grand Rapids: Zondervan.

Festinger, Leon

1956 **When Prophecy Fails.** New- York: Harper. Geertz, clifford.

1968 **Islam Observecy.** Chicago: University of Chicago Press

Gerlach, Luther and Virginia Hine.

1970 **People, power,Change.** Indianapolis: Bobbs-Meerrill.

Gilsenan, Michael

1973 **Saint and Sufi in Modern Egypt.** New-York: Oxford University Press.

Griffin, Em

1976 **The Mind Changers.** Wheaton: Tyndale.

Hanna,Mark

1975 **The True path. Seven Muslims Make Their Greatest Discovery.** colorado Springs: International Doorways Publishers.

Hoffer, Eric

1951 **The True Believer.** New- York: New American Library.

Janis, Irving and leon Mann

1977 **Decision Making,.** New- York: Free Press.

Lofland, John

1977 **Doomsday Cult.** Enlarged dedition. New- York: Irvington Publications.

Miller, william

1969 **Ten Muslims who Met Christ. .** Grand Rapids. Eerdmans.

Stott, John R.w.

1975 **Christian Mission in the Modern World**. Downers Grove: Intervarsity prss.

Tippett, Alan

1977 "Conversion as a Dynamic Process in Christian Mission," **Missiology** 2:203 - 221.

Toch, Hans

1965 **Social Psychology of Social Movements.** Indianapolis: Bobbs-Merrill.

Willis, Avery T.

1977 **indonesian Revivl.** South Passdena; William Carey Library.

●●●